

نفحات القرآن

[72] 26 - أصحاب السعير هم الجاهلون: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْرَافِ الْعَامِ يَلَهُمْ أَصْلٌ لَّا وَلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الاعراف / 179) إنَّ كلمة "ذراً" مأخوذة من مادة ذرَّء على وزن (زَرَع) وتعني الخلق. لكن المستخلص من "مقاييس اللغة" أن أصلها يعني "نثر البذور". ويحتمل لهذا السبب ذكر الراغب في "مفرداته" أن معناها الأصلي هو "الاطهار والايضاح". بينما قال البعض كما في "التحقيق في كلمات القرآن": إنَّ معناها الأصلي هو "النثر والنشر". فاذا أُريد منها الخلق فيكون معنى الآية: إنَّ أولئك الذين هو وهبوا السمع والبصر والفؤاد ... (وسائل المعرفة) ولم يستفيدوا منها لا مصير لهم غير جهنم. وإذا كانت "ذراً" بمعنى النشر والنثر، فالآية تُشير إلى أن اشخاصاً كهؤلاء سينثرون في جهنم. وعلى أي حال فهذه الحقيقة تكشف عن أن عاقبة الجهل وتعطيل وسائل المعرفة ليست سوى نار جهنم. (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَأَعْتَدْنَا لَهُمُ جَهَنَّمَ فَمَا تَبْصُرُونَ) (الملك / 10 و 11) نعم إنَّ ذنبهم العظيم هو تعطيلهم لعقلهم عن النهوض بمهامه، ولم يصغوا لحديث الحق وبهذا أغلقوا أبواب المعرفة والعلم، وفتحوا أبواب جهنم على أنفسهم. إن سياق الآية الثانية التي تنسب الإثم إلى أصحاب السعير وهم يعترفون